الشهيد خضر عدنان.. ٦ معارك من أجل الحرية والقضية

مروة ناصر
كاتبة ومحللة سياسية

رجل صلب وعنيد، تلك هي أولى الصفات التي تسمعها إن ما سألت عن القيادي في حركة الجهاد الإسلامي، خضر عدنان. ربما هما صفتان متأصلتان في "عدنان" مكّنته من تحمّل مشاق الاعتقالات والتحقيقات في سجون كيان الاحتلال. وربما تكون مكتسبتان بفعل وحشية الانتهاكات التي تعرّض لها، والتي جعلت منه قادرًا على تحمّل أصعب معارك الأسرى، معركة الأمعاء الخاوية، التي خاضها مرّات سابقًا واستمر فيها ٧٥ يومًا. حتى بات معروفًا أن اعتقال "عدنان" يعني بدأ المواجهة داخل السجن، "زاره محامي أم لم يزره، تمت تغطية الإضراب بالإعلام أم لا".

كان "عدنان"، من مواليد ٢٤ آذار / مارس عام ١٩٧٨، وكان ناشط سياسي في الضفة الغربية المحتلّة وخاصة في مسقط رأسه في جنين. لا يترك قضية تخص الشعب الفلسطيني الا ورفع صوته بها. يشارك بل ويقود الحراكات الشعبية لنصرتها، محرضًا على المقاومة ومواجهة الاحتلال بكلّ الطرق.

اختار "عدنان" طريقته أيضًا، فوُصف بـ"مفجّر معركة الأمعاء الخاوية"، منطلقًا من جملته التي قالها في إحدى المرات التي خاض بها الإضراب عن الطعام "أنا ولدت حراً ولن أذهب إلى السجن طواعية واحتجاز حريتي واعتقالي هو اعتداء على هويتي".

كيف كسر عدنان إجراءات الاحتلال

رفض "عدنان" ظلم الاعتقال الإداري، متحديًا الاحتلال واجراءاته. ليكون صاحب علامات مهمة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية والحركة الأسيرة، خاض ٥ إضرابات عن الطعام ضد الاعتقال الإداري وانتصر في كلّها، وأجبر الاحتلال على إطلاق سراحه بشروطه هو"، نستشف من حديث المدعي العام والمحامين الموكلين بالدفاع عن الأسير عدنان أنّ النيابة العامة مأزومة وتبحث عن مخرج، فهي صاغت لائحة اتهام ولا تستطيع تجاوزها، كذلك مصلحة السجون في مأزق، وتحاول أن تتهرّب من مسؤولية الموضوع وترمي بها على المستوى السياسي.

لماذا استهدف الاحتلال عدنان؟

حول دور القيادي عدنان، بكل أنحاء الضفة من شمالها الى جنوبها، ومن غربها الى شرقها، يبشر بالثورة، يتعاطف مع الثوّار، مع الأسرى، مع عائلات الشهداء والأسرى، وبالتالي شكّل نموذجًا وحالة ثورية حقيقية أثمرت ما يحدث في الضفة وتمسّك بعلاقاته القوية بكل الفصائل. الشيخ عدنان كان له الدور الكبير في مناصرة المقاومة ورأينا عامودًا من أعمدة المقاومة في جنين. فقد كان حديثًا مع القيادي عدنان حول جنين ومخيمها وبدايات انطلاق المقاومة منه وعن كيفيّة تعزيز روح الإرادة لدى المقاومين لمواجهة الاعتقالات.

"لذلك حاول الاحتلال مرارًا أن يعمل على تشويه صورته، لكن كلّ ذلك لم يثنِ عدنان عن مواصلة دوره، فأصبح من أهم القامات الوطنية الفلسطينية. أنّ الشيخ عدنان في السنوات العشر الأخيرة، منذ ٢٠١٢، كان الشخصية الأكثر حضورًا في إعادة أحياء قضية الأسرى، عندما يكون حرًّا من خلال الحراك أو من خلال الاضراب عن الطعام تنديدًا باعتقاله".

> رجل صلب وعنيد، هما صفتان متأصلتان في «عدنان» مكّنته من تحمّل مشاق الاعتقالات والتحقيقات في سجون كيان الاحتلال

عدنان ينتصر في ٦ معارك

- عام ٢٠٠٥، خاض الشهيد عدنان إضراباً مفتوحاً عن الطعام لمدة ١٢ يوماً رفضًا لعزله في سجن "كفاريونا"، ولم يوقف إضرابه إلا بعد أن نقلته مصلحة السجون الى القسم العادي مع الأسرى الآخرين.

- اعتقل الاحتلال الشهيد عدنان في ١٧ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١١ ثمّ أجبر الاحتلال على إطلاق سراحه في نيسان / أبريل ٢٠١٢، بعد تدهور وضعه الصحي جراء الإضراب عن الطعام مدّة ٦٦ يومًا.

_ عام ٢٠١٥، انتزع عدنان بفعل معركة الأمعاء الخاوية التي خاضها لمدّة ٥٢ يومًا "تعهدًا" بعدم اعتقاله إداريًا. وكان عدنان قد أضرب عن الطعام احتجاجاً على اعتقاله إداريا في ٨ أيلول / سبتمبر عام ٢٠١٤ مدة ٦ أشهر.

- خاض الشهيد عدنان، إضرابًا مفتوحًا عن الطعام لمدة ٥٨ يومًا رفضًا لاعتقاله التعسفي بتهم ملفقة، بدأه في أيلول / سبتمبر من العام ٢٠١٨، رفضًا لاستمرار الاعتقال دون محاكمة.

- في ٣٠ من شهر أيار/ مايو عام ٢٠٢١، بدأ الشهيد عدنان إضرابًا آخر الى أنّ علّقه بعد ٢٥ يومًا حين انتزع محاميه قرارًا من الاحتلال بعدم تجديد اعتقاله الإداري والإفراج عنه.

في معركة الإرادة، الكلمة في نهاية المطاف، هي للأسرى ولابدّ للاحتلال أن ينصاع مهما طال أمد التضحيات. هذا واستشهد البطل "عدنان" في ١ أيار ٢٠٢٣ على يد الاحتلال الصهيوني.

لن ترونا إلّا معاً.. رئيسي إلى دمشق

الوفاق/خاص
الدكتور خيام الزعبى

إن خصوصية العلاقات السورية - الإيرانية، والتي تحولت الى تحالف استراتيجي بين البلدين، لفتت إنتباه المتخصصين والمتابعين لقضايا الشرق الأوسط، لاسيما إنها العلاقات الوحيدة في المنطقة التي تتسم بالثبات والرسوخ في بيئة تتسم بالتوتر واللاستقرار والتغيرات السريعة والفجائية .

التطور التي تشهده العلاقات السورية - الإيرانية في المرحلة الراهنة يثلج القلب وينعش الأمل لبناء إستراتيجية جديدة وإحداث توازن في العلاقات الدولية، هذه العلاقات كانت العامل الرئيسي في صمود سورية وإيران في وجه مخططات الدول المعادية التي تسعى إلى إضعاف البلدين وزعزعة استقرارهما ونشر الفوضى في المنطقة ككل.

وبرهنت على العلاقات المتميزة بين سورية وايران العديد من المواقف عبر محطات تاريخية لا ينكرها إلا المغرضون، حيث إن العلاقات التي تجمع البلدين متجذرة تاريخياً، كما أن هذه العلاقات ممتدة على الأصعدة السياسية والاقتصادية، لتثبت مجدداً أنهما حليفان مهمان لبعضهما وللمنطقة العربية بقضاياها وشؤونها.

وتأتي زيارة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي إلى سورية اليوم في خضمّ تحركات دبلوماسية إقليمية يتغير معها المشهد السياسي في المنطقة منذ اتفاق الرياض وطهران على استئناف علاقاتهما الشهر الماضي، وتتزامن كذلك مع انفتاح عربي - سعودي خصوصاً، تجاه دمشق التي قاطعتها دول عربية عدة منذ بدء الأزمة عام ٢٠١١.

بالمقابل، تأتي هذه الزيارة لتكون منعطفاً واضحاً وشفافاً وكبيراً لتطوير العلاقات السورية - الإيرانية في المستقبل، وترجمة للحراك الإيراني وسعيه في إيجاد حل سياسي للأزمة السورية، كما ستعكس هذه الزيارة تقديراً لافتاً لمكانة سورية في الساحة الدولية، فالملفات التي ستناقش في هذه الزيارة وما سيصدر عنها من رسائل وإشارات هي كثيرة، خصوصاً ما يتعلق بالانتصارات الميدانية في سورية، وتعزيز المحادثات الرامية للتوصل إلى حل سياسي فيها لتحقيق أمن واستقرار سورية وعودة الحياة في هذا البلد إلى ظروفها الطبيعية، وتنسيق سياسات دول المنطقة والدور الذي يمكن أن تلعبه إيران في بناء واقع جديد بما يخدم هدف السلام والأمن والاستقرار في المنطقة.

وقد يبرز من خلال هذا الاجتماع أيضاً عدة عناوين ورسائل إلى الغرب والى من يدعم الإرهاب تحمل مساراً للمرحلة المقبلة، أهمها: استمرار الدعم الثابت لسورية، وتعزيز التنسيق العسكري في الحرب على الإرهابيين، وتفعيل الطاقات السياسية لدى سورية وإيران للتوصل إلى آلية شاملة لوقف الحرب في سورية ودعم سورية في مرحلة إعادة الإعمار، بالإضافة إلى دعوة للغرب إلى عدم الإزدواجية في الملف السوري، فضلاً عن تأكيده على استمرار دعم سورية حتى إجتثاث الإرهاب، كون إن التعاون الوثيق والمتنامي بين ايران - سورية هو العامل الرئيسي لهزيمة الإرهاب واجتثاثه من جذوره في المنطقة، بالتالي أن علاقات الشراكة الإستراتيجية القائمة بين سورية وإيران متينة، وخارج المساومات والصفقات، ولا يمكن أن يعكر صفوها إزدياد حجم التحديات.

اليوم إيران لا تتوانى عن دعم الجيش السوري ضد أمريكا وحلفائها، بصفتها حليفاً إستراتيجياً بالمنطقة ضد توسع النفوذ الصهيوني - الأمريكي الذي بات مهيمناً على العالم، لذلك فان تحدي سورية لأمريكا وحلفائها نابع من الدعم الإيراني وحلفاؤه لدمشق، كما أن صمود سورية وثبات الموقف الروسي والدعم الإيراني مثلت عوامل هامة في بقاء النسق السوري ونجاحه، وقابل ذلك اهتزازاً وتراجعاً مستمراً في الموقف الغربي وتخبطاً كبيراً في الموقف العربي، وانكشاف دور تركيا ومخططاتها في المنطقة، لذلك ندرك جيداً أن إيران من هذا المنطلق أسهمت بقدر كبير في تغيير الصورة الجيوسياسية في الشرق الأوسط، ما جعل خسائر الأمريكيين تزداد وتتعاظم في المنطقة.

اليوم سورية تتعافى، ما في ذلك شك، فهناك إنجازات إستراتيجية وعسكرية هامة، فمختلف دول الخليج الفارسي تبعث بممثليها الى دمشق لفتح سفاراتها هناك، والأردن تفتح معابرها الحدودية مع سورية، والإمارات تدعم سورية بالمساعدات الطبية والدوائية، ومصر وسلطنة عمان والعراق تؤيدان عودة سورية للجامعة العربية، كما أن العلاقات تعود تدريجياً بين السعودية وإيران.. بعد كل ما سبق، ألا يحق لنا أن نتساءل: من يستطيع أن يهزم سورية ولديها جيش قوي ضحى بحياته من أجل حماية سورية واستقرار وأمن المنطقة بأكملها؟

فسورية عادت لمكانتها ووضعها الطبيعي؛ ولكن هذه المرة عادت لتقود العالم لمواجهة الإرهاب والمحافظة على الأوطان، لأنها الرقم الصعب والعصي على أن ينال منه الآخرون.

مجملاً، إن العلاقات السورية - الإيرانية تمثل في الظروف الحالية حاجة إستراتيجية للطرفين، والتنسيق بينهما سيعيد إلى المنطقة شيئاً من التوازن ومنطلقاً لتأسيس حالة من الإستقرار في خضم المرحلة المضطربة حالياً.

وأختم مقالي بالقول: إن زيارة رئيسي الى سورية من حيث التوقيت والطبيعة ستؤثر إيجابياً على كافة العلاقات وانتقالها إلى مرحلة جديدة، لذلك يجب أن تبقى دمشق وطهران على وئام ووفاق إنطلاقاً من إستيعاب دروس التاريخ أنه كلما كانت سورية وإيران في خندق واحد وموقع واحد متضامنتين، فإن ذلك يحقق الأمن والاستقرار للمنطقة.

> زيارة رئيسي الى سورية من حيث التوقيت والطبيعة ستؤثر إيجابياً على كافة العلاقات وانتقالها إلى مرحلة جديدة

التحليل الإخباري

هل يعود يوم العمال مادة للتنافس الأيديولوجي؟

محمد فرج
كاتب ومحلل سياسي

على امتداد الحرب الباردة، لم يتوقف يوم العمال عن التذكير بالانقسام العالمي بين معسكرين؛ شرقي يدعو إلى الاقتصاد المركزي وتوسيع ملكية الدولة، وغربي يدعو إلى "الاقتصاد الحر" وقيادة رجال الأعمال. قلقت أوروبا والولايات المتحدة من تسرّب مبدأ "الأمان الاقتصادي" السوفياتي إلى أراضيها، ولا سيما أن هذا المبدأ كان مسنوداً بقوة عسكرية كبيرة وتنظيمات يسار محلية اتسعت في قدراتها وكوادرها. وقد سارعت الأنظمة الغربية بعدها إلى حلول الاحتواء، تحت شعار "لا يمكن تجاهل الأمان الاقتصادي بإثارة شهية الرفاه". وبذلك، اتسعت صناديق الضمان الاجتماعي في أوروبا والولايات المتحدة وصناديق التكافل التي ترعاها النقابات، واتسعت أيضاً ظاهرة شركات التأمين الصحي وتأمين الشيخوخة وبدلات البطالة وبدلات رعاية الأسرة وغيرها ما يمكن أن يوفر غطاء الأمان المفقود الذي يشكل لبّ الدعاية السوفياتية.

في ثمانينيات القرن الماضي، ضاقت بريطانيا بتكاليف الأمان الاقتصادي المضادة، فأطلقت تاتشر جملتها الشهيرة "اركب دراجتك"، في دعوة للمواطن البريطاني إلى أن يبحث عن العمل بنفسه من دون انتظار تأمينات الدولة. خلف تاتشر وريغان، كانت تقف التصريحات النظرية والفكرية لميلتون فريدمان وفريدريك هايك، على اعتبار أن تدخل أي حكومة في اقتصاد بلدها هو مفسدة له، "ولو حاولت الحكومة الاستثمار في الصحراء، لاشتكت لاحقاً من نقص في الرمال".

ترافقت لحظة الانهيار الكبير للاتحاد السوفياتي في بداية التسعينيات مع انهيار لدعاية "الأمان الاقتصادي". وجدت الأنظمة الغربية نفسها في وضعية تمكنها من الانقضاض على حقوق العمال والتراجع عن المكتسبات التي قدّمتها لهم تحت ضغط المنافسة مع نموذج السوفيات، وتراجعت كفاءة صناديق التقاعد، واستسهلت أوروبا رفع سن التقاعد في كل مناسبة تجد نفسها فيها عاجزة عن تأمين المتقاعدين الجدد، وهذا ما يحصده ماكرون في فرنسا اليوم، وما يفسر كذلك الارتفاع المستمر لسن التقاعد في اقتصاد نشط كألمانيا. تراجعت حدة الصراع الأيديولوجي حول يوم العمال منذ لحظة الانهيار، وبدأت تغييرات ضمنية لعنوان اليوم نفسه من "يوم العمال" إلى "يوم العمل"، أو حتى دمجه أحياناً بالربيع ليكون يوم "العامل والربيع". لم تكن مرحلة الأحادية القطبية سيطرة على الاقتصاد فقط، إنما كانت أيضاً سيطرة على قاموسه ومفرداته وآليات فهمنا له ولمعناه وقيمه ومبادئه.

لذلك، لم يمتلك "يوم العمال" خلال مرحلة "الأحادية القطبية" رفاهية العثور على زاوية واسعة في اهتمام الأحزاب السياسية والأفراد. ومع موجات الحروب (العراق، أفغانستان، يوغسلافيا...) وموجات الاضطراب (الربيع العربي، وصناعة المعارضة في أميركا اللاتينية والصين وروسيا...) التي أشعلتها الولايات المتحدة، أُجبر الناس على حصر تفكيرهم في قيمة حياتية أساسية أكثر من غيرها، هي الأمن وإمكانية البقاء.

اليوم، تراجعت الولايات المتحدة في سلم الاقتصاد العالمي، وتراجعت حصتها من الاقتصاد العالمي، وصارت حصة الدولار من مجمل الاحتياطي العالمي تتراجع باطراد، كما تراجعت قدرات الولايات المتحدة نسبياً في صناعة الاضطراب والتفكيك. هذا التراجع يسحب معه بالضرورة تراجع مفاهيمها المعممة وتقلّص قاموسها الاقتصادي.